مجلة الدراسات الأثرية ISSN: 1111-7699
المجلد: 19..العدد: 1/2021/....ص ص.:74-86 EISSN 2600-6499

الوباء – زمن القدماء –
مصر القديمة أنموذجا

سميشة فايزة •[1]
جامعة –ابو القاسم سعدالله – الجزائر2: faiza.soumaicha@univ-alger2.dz

تاريخ الإستلام 2021/05/19 تاريخ القبول 2021/06/05 تاريخ النشر 2021/12/19

الملخص :

إعتقد المصري القديم أن هناك أيام من السنة منحوسة وبعضها ما كان ينذر بسوء الطالع فكانت تفرض عليهم الكثير من القيود ومن يخالف ذلك فقد أوقع نفسه فريسة للوباء،بل إن البعض سيموت إذا وُلد في هذه الأيام عن طريق وباء الطاعون أو بإحدى الأوبئة القاتلة الأخرى. كما إعتقدوا أن هذه الأمراض التي تفتك بالإنسان سببها غضب المعبودات بسبب ذنب ارتكبه هذا الأخير أو بسبب الأرواح الشريرة لذا كان العلاج الأولي عن طريق التعاويذ السحرية والتمائم التي كانوا يرتدونها طول فترة الوباء و هذا ما يفسر كثرة التعاويذ في سجل تاريخ مصر القديم لأنه كان لكل مرض تعويذة خاصة به وبحسب نوع الإله الغاضب ،لتعدد بذلك الأسباب الخفية للأمراض ويختلف تفسيرها طبقا للمعتقد المصري القديم في كل مراحله التاريخية.

الكلمات الدالة: الوباء، الطاعون، الملاريا ، سخمت ، الجُذَام.

Abstract:

The old Egyptien thinked that there were known days of the year so bad , and those days wore frought with dangers, they had to be avoided and those whe viol them were put to death by the ated plague even some die if borne in there days by an epidemic as askin disease,that is why there were spellls chanted during there days ,and they were worn as annulets for protection, they …blived that there diseases that kill humans are caured by the anger of the deities because of a sin committed , and this is why the first treatment was throught magic spells and each in cantation is specific to a specific diseare according on the type of the idol wha is angry at them..

So the hidden reasons have always been behind the power of their so poriority, and their interpretations was according on the ancient Egyptian be lief in all its instrorical stages.

keyz words: the epidemic,the plague,malaria,sekhmet,leprosy

• المؤلف المرسل

مقدمـــة

عان الإنسان القديم دائما من صعوبات كانت تهدد بقاءه وإستمراريته إلا أن فطرة البقاء جعلته يتجاوزها ومع هذا التحدي أعطانا هذا الأخير حلولا لأزماته وإن كانت بمقاييس ذلك العصر ولعل من أخطر ما واجهه هو الأمراض والأوبئة التي إنتشرت معها خرافات حول غضب الآلهة وانتقامها من البشر أين شاع هذا الأمر منذ أقدم العصور حول قدرة المعبودات على عقاب البشر بسبب غضبها عليهم.

ولقد ذكرت لنا النصوص التاريخية و النقوش الأثرية و البرديات هذا الأمر في عديد من الحضارات الغابرة و حتى التي تعود لفترة ما قبل التاريخ قبل نحو خمسة آلاف سنة قبل الميلاد أين قضى وباء على قرية في الصين وتم حرق جثثهم التي كانت محشوة داخل منزل و الملاحظ أن الموتى إختلفت أعمارهم بين الصغار والشباب والكهول ، ويطلق على هذا الموقع حاليا إسم "هامين مانغا" والذي يعد أحد افضل مواقع ما قبل التاريخ في شرق الصين الذي وثق لنا حالة مبكرة عن الأوبئة التي شهدتها البشرية ، كما تشير الدراسات الأثرية و الأنتروبولوجية إلى أن الوباء ظهر في وقت قياسي و فتاكا لدرجة أنه لم يكن هناك وقت كافي للدفن وأنه قبل العثور على هذا الموقع عثر على مدفن جماعي آخر يعود لنفس الفترة تقريبا وفي شرق الصين أيضا مما أكدت الدراسات على ظهور الوباء الذي أودى بحياة السكان آنذاك.

لتأتي الفترات التاريخية اللاحقة حاملة هي الأخرى في سجلاتها فصلا عن الوباء وعواقبه ومنه ما ورد في نصوص الحضارة العراقية القديمة عن الأوبئة التي أصابتهم عقابا لهم من خلال ما فهمناه من نصوصهم الأدبية والأمر عينه في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام و وباء الطاعون الذي ضرب آثينا في حوالي 430 قبل الميلاد اثناء حربها مع إسبرطة فيما أصطلح عليه بالحروب البيلوبونيزية والذي استمر خمس سنوات و بحسب ما أشار إليه المؤرخ الآثيني ثوكيديديس أن الوباء فتك أكثر من مئة ألف شخص مشيرا إلى أن أشخاصا كانوا يتمتعون بصحة جيدة ثم يتعرضون فجأة لحمى على مستوى الرأس واحمرار

للوجه و التهاب في العينين و انبعاث نفس غير طبيعي ذو رائحة كريهة ، وليس هذا فحسب فقد أثر هذا الوباء على كل مجالات الحياة أنذاك ، لكن الشئ الوحيد الذي خدم فيه الأخير أثينا هو انسحاب اسبرطة من مدينة أتيكا القريبة من أثينا و التي أوشكت أن تسيطر عليها أنذاك لولا تداعيات الوباء الكارثية أنذاك ، أما المؤرخين الرومان أمثال بوليبيوس في القرن الثاني قبل الميلاد وليفي في القرن الأول ميلادي قبل الميلاد حاولوا البحث عن تفيسرات عقلانية للوباء بتغير المناخ و التلوث في حين أفرد بعضهم الآخر الأسباب إلى الحكام السيئيين .

وفي السياق ذاته لا يخل الحديث عن مصر القديمة التي أخذتها حصتها هي الأخرى من هذه المعاناة و تجربتها كانت واضحة في مواجهته من خلال ما وثقوه لنا الكهنة الأطباء آنذاك في البرديات من فترة المرض إلى أساليب الوقاية والعلاج، لهذا ارتأينا أن يكون نموذجنا حول الحديث عن تاريخ الوباء في العالم القديم من مصر القديمة للأسباب التي ذكرناها آنفا وإن اختلفت قصص الوباء و أسبابه في العالم القديم إلا أنها أغلبها يشترك في كون أسبابه لاهوتية محضة وأنها من غضب المعبودات ومنها ما أخذ طابعا أسطوريا ، لكن المتفق عليه أنه ظاهرة اجتماعية مست المجتمعات القديمة من خلال ما بقي في بعض السجلات والوثائق المكتوبة وهذا ما سنحاول إظهاره من خلال مقالنا هذا من أكثر التجارب الواضحة حول هذه الظاهرة من أرض مصر القديمة .

نبذة عن الأوبئة في مصر القديمة " أسبابها و أعراضها"

إن المجتمع المصري القديم لم يخل من هذا الأمر وربما أكثر ممّا وُثق في هذا الصدد هو ما حدث في مصر الفرعونية بالتحديد ناهيك طبعا عن الفترات التاريخية السابقة من تاريخها لهذا إبتكر المصري القديم طُرقا حديثة في كل مرة لمواجهة الأمراض المعدية والأوبئة التي أصابت بعض المدن على مدار سيرورة حياته من جراء الرحلات التجارية والمعارك العسكرية وما حملته من أمراض معدية إلى مجتمعهم ، و هذا ما يفسر سلوكيات المصريين وحرصهم على الوقاية وتطورهم في علم الطب هذان الأمران

مكنهما من تحقيق إنتصارات ضد الأوبئة حتى العصر المتأخر ،فكانت الرعاية الصحية شيئا مهما من مسؤوليات الملوك والملكات وحظي الأطباء بدورهم وقتها بمكانة عالية لجهودهم آنذاك[1]

عرف المصري القديم العديد من الأمراض منها ما كان حتى نادرا والذي لعب فيه الجانب العمري والعوامل البيئية دور مهم في انتشار الأمراض المعدية الوبائية بشكل كبير لأنها كانت تنتقل من شخص لآخر أو من حيوان لآخر أو حتى من حيوان إلى إنسان مثل مرض الطاعون والملاريا والجذري والجذام وغيرها من الأمراض التي ذكرتها السجلات القديمة كمرض إيديت إن رنبت Idit in Rinbet والتي تعني الطاعون الدبلي أو الرملي ،إلا أن المختصين يرون أنّ كلمة Idit تحمل أكثر من معنى إلى جانب معنى الوباء ، فأحيانا ترمز إلى النكبة ، البؤس ، البلاء، الكارثة ... أمّا كلمة Idit Rinbet فهي تحديدا تعني "وباء السنة"، في حين يرى البعض الآخر أن مصطلح "ايديت رنبت" لا يعني مرضا واحدا بل هو مجموعة من الأمراض الخطيرة سريعة الانتشار وعبر الهواء خاصة وأنها كانت مخيفة ومن أشهر أعراضها إرتفاع الحرارة وضعف القلب وربما أقدم ظهور لهذا المصطلح يعود لقصة سنوهي من عصر الدولة الوسطى إذ ذكر في بردية بالمتحف المصري تحت رقم 16637 – منقول عن–<<...أنه المعبود الطيب الكائن خلال البلاد الأجنبية مثل سخمت في عام الوباء>> وربما في هذا المصطلح بهذا النوع من النصوص كان يستخدم للتشبيه بين الخوف من الملك والخوف من ربة الوباء الآلهة "سخمت"[2].

أما في أيام الحظ والنحس حذروا بعدم الخروج من المنزل خاصة يوم الثالث عشر من شهر الشتاء "برت" لأنه أكثر الأيام المخيفة كون المعبودة سخمت تقذف فيه الأوبئة وهذا ما ورد في البردية رقم

[1] ليلى ممدوح عبد الفتاح عزام، التعاويذ السحرية ضد الأمراض في عصر الدولة الحديثة ، دراسة حضارية ،قسم الآثار والحضارة ، جامعة حلوان 2001، ص218 .

[2] كريستيانو داليو ، الطب عند الفراعنة(أمراض ،وصفات طبية، خرافات ومعتقدات)، ترجمة ابتسام محمد عبد المجيد،مراجعة نبيل عبيد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 2013،ص، 118

"86637" تحت الصيغة التالية – منقول عن– <<**اليوم 13 سيئ (نحس جدا) لا تخرج من منزلك على أي طريق في هذا اليوم انه يوم خروج "سخمت" إلى خسرت**>>[3]

وبالحديث عن البرديات فإنه وطبقا لها وللنقوش أدرك المصري القديم أن الحيوانات أيضا كانت مصدرا لنقل البكتيريا والفيروسات لهذا إهتم بتعقيم بيته ونفسه بالبخور والأعشاب حتى أنهم قاموا بتخصيص ثلاثة مرات في اليوم للنظافة والاستحمام للطبقة العامة وخمس مرات للكهنة باستخدام ملح النطرون وعادة حلق شعر الرأس مرة في الأسبوع وكل يومين للكهنة .

ولعل من أخطر ماعانت منه مصر القديمة من أوبئة هو الطاعون وهذا طبقا للمصادرالمكتوبة والنقوش الأثرية وهو ما عرف فيها باسم " تا.نت.عامو" والتي تعني أن الوباء آسيوي المصدر ،وإن كانت المعلومة غير مؤكدة بحسب ما يذكر لنا "كريستيانو داليو" في مؤلفه عن الطب عند الفراعنة فانه يرى أنه لا توجد آية إشارة واضحة في البرديات المصرية إلى هذا المرض حتى وان كانت الفقرة رقم (874)من بردية "ايبريس" بما تحتويه من غموض فإنها تشير إلى مرض الطاعون الدُمَلي الذي يصيب الغدد اللمفاوية[4]، في حين يشيربعض المختصين إلى أن مرض الطاعون لم يوصف بدقة في مختلف النصوص القديمة بحكم أنه استخدمت كلمة الطاعون على مرض معدي آخر وهذا ما يتفق معه دارسين آخرين حول كلمة "**رنبت** "التي أشرنا إليها سابقا أنها كلمة تعني وباء السنة وليس الطاعون تحديدا [5].

في المقابل ترد لنا بعض الأخبار من بعض وثائق تل العمارنة من مدينة أخناتون بمختلف اللغات تحتويها لفات مخروطية الشكل من الصلصال وبعضها خطابات للمراسلات الدبلوماسية بين أخناتون وملوك وأمراء البلاد في الشرق الأدنى خاصة في أرشيف الحيثيين في فترة "بوغار كوي" ذكرت لنا وباء خطير إجتاح المنطقة لقرابة العشرين عاما مخلفا وراءه الموت والدمار وأن هذا المرض إجتاح مصر وأن الحيثيون نسبوا أصل هذا البلاء إلى السجناء المصريين وفي ذات السياق يعتقد كرونو أن الموت المبكّر لكل من " سمنخ .كا.رع" و"توت عنخ أمون" وهما خلفا أخناتون كان بسبب الطاعون وهما صغيرين في السن وهذا ما تطابق مع الدراسات الحديثة فيما بعد ،إذ أعلن الأمين العام للمجلس الأعلى للآثار في

[3] Brayan ,p &smith.e,ancient egyptian papyrus,chicago,1930,p,180
أنظر أيضا Dawson.R.some observation on the egyption calendaes oflucky and unlucky days n the journal egyptian archaeologie,vol,12,egypt,1926
أيضا ، Bakir,A,thecairocalrnder of lucky ana unlucky days
[4] كريستيانو داليو، المرجع السابق ، ص 117 .
[5] 1 مجلة روز يوسف Magazine. Rosel.yosef.com

مصر زاهي حواس أن نتائج تحليل الحمض النووي والمسح بالأشعة المقطعية لموميا‌ء الملك "توت عنخ أمون" الذي توفي قبل نحو (3362 عاما) أثبتت أنه توفي متأثرا بمضاعفات مرض الملاريا لتظهر بعدها الفحوصات التي قام بها فريقان مصريان وأكدها مستشاران ألمانيان أن سبب وفاته هو إصابته الحادة بالملاريا مما ينفيان كليا فكرة مقتله، مشيران إلى أن قصورا في الدورة الدموية في أنسجة العظام تسبب في هشاشتها واستبعدوا أن الثقب الموجود في جمجمته أن يكون سببه القتل،بل أنه حدث أثناء عملية التحنيط[6] ، فبالرغم أن الملاريا لم تترك أي أثرعلى المومياوات إلا أن تحاليل الحمض النووي كما سبقت الإشارة إليه أكدت وجود ثلاث جينات طفيلية والملاريا لأربع مومياوات على رأسها توت عنخ أمون .

لكن ما تجدر الإشارة أن هذا الوباء كان قد ضرب مصرفي فترات زمنية سابقة لهذه الفترة التاريخية من تاريخها أي فترة الدولة الحديثة وهذا ما يفسرالسبب الحقيقي لتناول كميات هائلة من الثوم في فترة الدولة القديمة أو ما يصطلح عليه بعصر بناة الأهرام لحمايتهم من الملاريا ،لأنه بحسب ما أشارت إليه بعض البرديات المصرية القديمة كبردية أدوين سميث هارس، ايبرس، أن هذا الوباء قد إنتشر بمصر قبل ألفين و ثمانمئة عام قبل الميلاد وكيف أن المصريين القدامى استخدموا ما يعرف "بالطب الوقائي" للحماية من هذه الأمراض المعدية وهذا ما أشارت إليه بالتحديد بردية "ايبرس "حول الممارسات الطبية التي تعد أقدم وثيقة علاجية يعود عمرها إلى 3500 عام مشيرين بذلك إلى أن الملاريا أول وباء ضرب مصركان في بداية عصر الأسرات أي العصر العتيق و عصر الدولة القديمة ،أين إستخدموا التعاويذ والتمائم لوقايتهم من هذا النوع من الأمراض المعدية باعتبارها غضب من الإله بالدرجة الأولى.

وفي السياق أشارت المجلة الألمانية "شبيجل" إلى هذا الأمر بقولها أنه كانت هناك تعويذات وتمائم سحرية للمساعدة في مكافحة الأوبئة بالإضافة إلى طقوس كان يقوم بها الكاهن لطرد الشياطين وأن المصريين القدماء إستخدموا "عبارة تطهير كل شيء من الطاعون " كما كانوا يلفون الطين بقطعة من القماش الناعم ويمسحون به كل شيء للتخلص من الوباء لمنع الشياطين من المرور عندهم وفق معتقداتهم[7]

وما أكثر النصوص التي أشارت إلى علاقة الوباء بالأرواح الشريرة والشياطين منها مرض "wbsw" وهو في الحقيقة طفح جلدي يسبب حمرة كبيرة لهذا عرف " بالمرض الوردي" ذُكر في اليوم الرابع من الشهر الثاني من فصل الفيضان – نقلا عن – بردية المتحف المصري(رقم85637) تحت الصيغة التالية << **الشهر الثاني من فصل الفيضان ،اليوم الرابع سيئ جيد، كل من سيولد في هذا اليوم سيموت**

[6] http://M.asra.arabia.net.cdn.ammrgect.org

[7] حسن كامل ، الطب المصري القديم،الطبعة 2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998 ص 129.

بطفح جلدي لأنه اليوم لذهاب أنوبيس لتفتيش(مراقبة) وحماية جند المعبود...>> [8]، أيضا نذكر في ذات السياق مرض litmyt الذي كان له علاقة بأيام النحس والمعبود"رع" وتعود أسباب هذا الأخير أن الإله "رع" إلتهم الكائنات التي تقترب منه أو تهاجمه ، لكن سرعان ما شعر باضطراب في معدته فأخرج أجساد الكائنات التي أكلها في هيئة أسماك وأرواحهم على هيئة طيور و بسبب هذا الحدث حُرم أكل الأسماك والطيور في اليوم الثاني والعشرين من الشهر الأول من فصل الفيضان ،إلا أن المعلومات عن هذا المرض قليلة ويرجح البعض انه يصنف ضمن الأمراض الجلدية التي سببها احد الشياطين الذي ظهر أول مرة في عصر الدولة الحديثة،إذ ذكر في الفقرة رقم 168 و169 – نقلا عن –بردية **هيرست** في تعويذة سحرية غامضة النص التالي:<< **تعويذة timyt بخصوص الحرارة التي أتت من بوزيريس ... واتت من hut–bs ...التي نزلت من السماء على صورة ايزيس>>**[9]وفي المقابل وردت تعويذات للقضاء على هذا المرض تصف لنا أسبابه وأنه يأتي في الظلام ويكسر العظام، لهذا يرى البعض أنه كان خطيرا ويؤدي إلى الاضطرابات العصبية ، أما عن كلمة Tmyt فهي مشتقة من dmw بمعنى "دودة" التي تكتب أحيانا tmt ربما كتعبير لأسباب هذا المرض وهي الدودة التي تتحول بعد ذلك الى حشرة طائرة وهذا ما يفسر النص السابق المذكور أعلاه في البردية <<..**وأرواحهم "البا" تحولت إلى طيور tmyt تطير إلى السماء**<< .

وعلى كل حال يمكننا أن نُعمم هذا التفسير على كل الأوبئة التي عرفها المجتمع المصري القديم والتي كان مردها غضب الإله كما سبقت الإشارة ، فالأمر لم يقتصر على وبائي الطاعون والملاريا بل كل الأوبئة التي عرفوها آنذاك والتي هددت حياتهم وأودت بها في حالات كثيرة،إلا أن الطاعون والملاريا كانا أشد فتكا لهم لسنوات عديدة إضافة إلى" الجذام" ،هذا الأخير الذي لم يتم التوثيق له في حقيقة الأمر إلا في العصور المتأخرة من التاريخ المصري القديم ،إذ أشارت إليه المصادر المكتوبة بوضوح في برديتي "**سميث**" و"**دري**" بحلول حالة مؤكدة تم فيها بتر الأعضاء بإحدى المومياوات ومؤخرا أشارت الأبحاث الأثرية إلى أربعة حالات مشكوك فيها عُثر عليها في مقابر تعود لفترة البطالمة تحتوي على موميات دفنت بطريقة خاصة لأنها ماتت متأثرة بوباء هذه الفترة، فيما يرى البعض الآخر أن الحالات التي تم فحصها لحد الآن تعود كلها للحقبة الفرعونية وأنه لم يحنطوا المصابين بالمرض نظرا لتلوث الجثث بالميكروبات ، أما في وصف لحالة الإصابة بالجذام فقد ذكرت بردية "ايبرس" رقم (874) – منقول عن – أنه يندرج تحت الاسم الشائع "أت" "aat" والتي تعني ورم وأنه في هذه الحالة لا يوجد له علاج[10] فإذا وُجد على لحم أوعلى جلد أحد الأشخاص قرحة ثم يُشفى منها ومكان القرحة ظهرت أثار بيضاء اللون أو

[8] ايفانج كونج، السحر و السحرة عند الفراعنة ، ترجمة فاطمة عبد الله محمود ، القاهرة ، 1999، 92/ انظر ايضا ليلي عزام المرجع السابق ، 269 .

[9] كريستيانو داليو ، المرجع السابق ، ص 115

[10] ادولت ارمان ، وهرمان رانكه ، مصر و الحياة المصرية في العصور الفرعونية ، ترجمة عبد المنعم ابو بكر ، القاهرة 1952، ص95

ضاربة إلى الحُمرَة فيجب اصطحابه إلى الكاهن فإذا فحصها ورأى أن جلده تغير لونه ولم يعد أبيض فعندئذ يُعلن عن إصابته بالجذام .

أيضا من جملة الأمراض الي كانت على قائمة الأوبئة الي عرفتها مصر القديمة هوالجُذري وليس ذلك فحسب بل ظهر أيضا في منطقة ما بين النهرين،حيث وردت أخبار مهمة عن طريق الباحث كودور kudur من خلال ما إكتشفه في حجرأثري يعود إلى القرن الخامس عشر قبل الميلاد أين ذكر هذا المرض باسم "sahashubbu" أو Garbu وكان المُصاب به يضطر إلى أن يهيم على وجهه خارج أسوار المدينة ليتطور بعدها إلى أنواع حسب حالة المريض،فكان هناك "الجذام اللطاخي" والإرتشاح الجذامي" وهذا النوع هو الأخطر على حسب قولهم لأن الإله يرفض هذا المريض والناس تنفر منه وعلى أيه حال فان هذا المرض عامة مصدره الشرق بحسب مادلت عليه الوثائق القديمة التي عثر عليها بالصين والهند، ليختفي بعدها كليا بالشرق ،كما أشارت إلى هذا الأمر الكتاب المقدس بالصيغة التالية :<< **يضربك الرب بقرح خبيث على الركبتين وعلى الساقين حتى لا تستطيع الشفاء من أسفل قدمك إلى قمة رأسك**>> [11] كما ورد ذكره في الجزء الأول من أسفار موسى الخمسة تحت إسم "shehin" .

ليرد ذكر نفس الأمر في سفر الخروج في الإصحاح الثامن و التاسع:<< **ثم قال الرب لموسى وهارون، خذا ملء أيديكما من رماد الأتون وليذره موسى نحو السماء أمام عيني فرعون ليصير غبارا على كل ارض مصر،فصير على الناس والبهائم دمامل طالعة ببثور في كل أرض مصر**>>[12] .

وفي تفسير لهذه الإصحاحات يرى الباحث "ليكل" أن الأمر يتعلق بمرض الجذري،إلا أن هذا الرأي أثار جدلا كون المرض يصيب الحيوانات أيضا،لكن ما ثبت علميا أن هذا الداء الذي يصيب الإنسان يختلف عن الذي يصيب الحيوانات ما عدا القرد لا غير وفي نص لاحق للفيلسوف اليهودي "فيلون" filone الذي عاش بالإسكندرية ما بين القرن الأول قبل الميلاد والقرن الأول ميلادي–نقلا عن محمود شلبي في كتابه حياة موسى، يصف لنا مرض الجُذري على النحو التالي: <<لقد سقط التراب مباشرة على الناس و الحيوانات وسبب لهم جروح وآلاما مبرحة في أنحاء الجلد و في نفس الوقت الذي يحدث في فوران في الجسد تحدث أيضا تقيحات يُقال أنها نتجت عن نار غير مرئية ،إنهم يعانون نفسيا أكثر مما يعانون جسديا >> .

[11] الكتاب المقدس ، سفر التثنية ، الاصحاح (28–27)

[12] الكتاب المقدس، سفر الخروج ، (8-9)/أنظر ايضا : محمود شلبي ، حياة موسى ، للطبعة 2، دار الجبل ، بيروت ، 1987 ، 271

وهذا ما يقابله في تنزيل العزيز الحكيم بقوله تعالى << **وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُواْ يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ** >>[13]ليختلف أهل التأويل في كلمة الرجز إلا أن الأغلبية أجمعت أنه وباء أو طاعون سلطه الله تعالى على فرعون وقومه ، في حين أشار البعض الآخر انه يشمل الطوفان و القمل و الضفادع والدم وربما يمكننا الأخذ بتفسير الطاعون كونه الشائع في وُجهاء التفسير من بينهم ابن عباس و الطبري اللذان فسراه مباشرة بالطاعون والعذاب[14]، كما فسر أيضا سعيد بن جبيبر كلمة الرجز بالطاعون وأنه العذاب السادس بعد الآيات الخمسة حتى مات منهم سبعون ألفا في يوم واحد، لكن حتى وان إختلف المفسرون في أصل الكلمة الدالة على الوباء فإن المتفق عليه هو أن ما ذكرته لنا الشواهد المكتوبة آنذاك يتفق مع ماذكرته لنا الكتب السماوية من قرآن و توراة و هذا ما يدل على حلول الوباء بأهل مصر بغض النظر عن أسبابه و ان كانت مفهومة على أنها غضب بحكم أن الأحداث كان جزءا منها نبي الله موسى .

هذا فيما يخص التفسيرالديني ،أما التفسير العلمي فإن الشواهد التحليلية لأسباب المرض وأعراضه قليلة جدا و إن وجدت عينات على وجود هذا المرض ،فعلى سبيل المثال تم العثور على مومياء تعود للأسرة العشرين بالدير البحري تبدو عليها آثار قروح على الجلد وبعد تشخيصها إتضح أنها قروح جُذري،كما أثبتت باقي الدراسات وجود حويصلات ذات سبعة أبعاد سببها إنقسام الخلايا على شكل تجويف متعدد الألوان كما يظهر على الجلد العديد من البكتيريا Gram ،أيضا مومياء رمسيس الخامس ظهرت عليها هذه الأعراض خاصة على الوجه ومنطقة الحوض التي كان بها جروح تشبه إلى حد كبير جروح الجذري[15].

وعموما فإن مصر القديمة عرفت العديد من الأمراض جراء التهابات سببتها الجراثيم و العديد من الأجسام البكتيرية والتي كانت أحيانا مستعصية التفسير لهذا كانوا لا يستطيعون التعرف على الأسباب الحقيقية للمرض، أما التقيحات كانت شائعة جدا ومتنوعة أيضا،نذكر هنا على سبيل المثال إحدى كاهنات آمون في الأسرة الحادية والعشرون والتي كانت تعاني من جرح حاد في منطقة الحوض وفقدان شديد في الوزن وفي إحدى مومياوات أحد الأطفال التي تم العثور عليها في إحدى مقابر طيبة رقم (74) لوحظ على عينة من عظامه المصابة بالمرض وجود ما يعرف بالقلونية الاستريكية والتي قد تكون سببا في الوفاة مع تلوث دم الطفل ،أيضا من جملة هذه الأوبئة نذكر "الإسكتوز" و"البلهارسيا "وهي عبارة عن

[13] سورة الاعراف ، الآية 134
[14] الطبري ، جامع البيان عن تاويل القران ، جزء 10، طبعة 1، 2001، ص
[15] . Smith,The royal mumies,desk word publichers ,cairo ,1912,p 241

ديدان طفيلية تصيب المثانة وتسمى "البلهارسيا البولية " وديدان تصيب الكبد تسمى " بالبلهارسيا الأمعائية" وهذا ما يسبب علة في الأمعاء والكبد أوما يصطلح عليه " بمرض التليف الكبدي" .

ولقد استطاع العديد من الباجثين منهم على وجه الخصوص "يونكر" أن يربط مابين "الإسكتوز" المثاني و البلهارسيا البولية ومرض "عاع " الذي ورد ذكره باستمرار في مختلف التشخيصات الطبية في بردية "مايبرس"[16] كما إكتشف "روفر" عام 1910م إثنين من المومياوات في الأسرة العشرين كانت تعاني من مرض البلهارسيا البولية والعثور على بيض الإسكستوز في إحدى المومياوات المجففة طبيعيا في نخت Nakht مع وجود تليف كبدي وحالات كثيرة لهذا المرض في مومياوات مقابر " دوش Dush " بالواحات وربما ما تجدر الإشارة أن هذا الداء يعود لفترة ما قبل الأسرات بحسب دراسات "موللر" أين عثر على أجسام مضادة للطفيلات داخل مومياء فتى صغير عاش في فترة ماقبل الاسرات وحالات مشابهة لنفس الفترة التاريخية لهذا تم إعادة صياغة علم دراسة الأوبئة في مصر القديمة والتي قام بها مؤخرا كل من "دافيد وكلوس David et Kloos" عام 2002 م إلى مرحلة ما قبل الأسرات و ليس بعدها كما كان شائعا

وما ثمّن هذه الدراسة هو ما قام به كلا من "غليونجي وليكا" بعد اكتشافهما لثلاثة مصاطب بسقارة تعود إلى الأسرة السادسة وأصحابها هم "محو وبتاح حتب وعنخ و حور" وكل صورهم تحتوي على فتق سُري أو تضخم في الحوض ،فمثلا في مصطبة "عنخ وحور" لوحظ أن الأول مصاب بفتق سرّيّ والثاني مصاب بانتفاخ في الكيس المنوي وهذا العارض تطابق مع مومياء رمسيس الخامس وهذا ما يؤكد نظرية كل من دافيد وكلوس التي سبق وأن أشرنا إليها وان هذا الداء رافق كل مراحل مصر القديمة، بل قبل هذا بكثير حتى فتراتها المتأخرة ولا يمكن أن نحصره في مرحلة معينة ،كما أنه مؤخرا تم العثور في بعض الجرار من بقايا عملية تحنيط تعود إلى الأسرة الخامسة والعشرين على بعض الديدان الشريطية و الإسكارس التي عانى منها الفرد المصري القديم و أودت بحياته لعدم التوصل للعلاج.

أساليب وطرق الوقاية من الوباء

بما أن الحديث عن الأوبئة والأمراض المعدية لا يخلو من الحديث عن وسائل التعقيم والحماية من العدوى، لجأ المصري القديم إلى حلول كانت اشهرها استخدام مياه نهر النيل كشيء مقدس من العقيدة المصرية القديمة ،لكن مع الوقت ومع تفشي الأوبئة واختلافها من فترة تاريخية إلى أخرى عمد هذا الأخير إلى تطوير سلوكياته لمواجهة هذا النوع من الأخطار ليكون تطور الطب عندهم نتيجة حتمية مكنهم فيما بعد من تحقيق انتصارات لابأس بها في عالم الأوبئة على مدار خمسة آلاف سنة ،لهذا حظي الأطباء

[16] كريستيانو داليو ، المرجع السابق، ص 133

وقتها بمكانة كبيرة لدورهم في إعداد وصفات علاجية لشتى أنواع المرض،ويقول الدكتور مجدي شاكر في هذا الصدد أن إدراك المصري القديم لأهمية النظافة للحفاظ على الصحة العامة كان جزءا من العقيدة المصرية القديمة مُشيرا في ذلك إلى أن أسباب إنتقال المرض لمصر آنذاك هو موقعها الجغرافي الذي جعلها نقطة رئيسية للتجارة لهذا بدؤوا بممارسة ما يسمى بالطب الوقائي للحماية من الأمراض المعدية خاصة بعد تفشي مرض الملاريا ولقد نجح الطبيب الكاهن "سخمت" في تخفيف ألام أراض الملاريا والجُذَري إلى حد ما كما أشارت إليه بردية "ايبرس".

ليلجأ بعدها إلى المياه كوسيلة تحميه من الإصابة وتصبح بذلك طقسا يمارسه المصري القديم في التطهير وأصبح غسل الأيدي والملابس درعا لابد منه ليمتد بعد ذلك الأمر إلى تعقيم المعبودات ونشرها أمام المنازل كرمز للحياة والصحة الجيدة وتدريجيا أصبح السلام برفع اليد دون ملامسة ، أما المنازل فقد صمموها على شكل طبقات بحمامات مخصصة للإغتسال الخاص وأن يكون موقعها في نهاية ممر المنزل أما قصور الملوك والأغنياء كانت تحتوي على بركة للمياه تصمم بحسب الخبير وبعد أن أدركوا أيضا أن الحشرات والحيوانات مصدر لنقل البكتيريا والفيروسات إهتموا بتعقيم منازلهم بالأعشاب والبخور وحتى الصناديق الحافظة لأحشاء المتوفي بعد تحنيطه ومن هذه الأعشاب أُستخرجت مواد تعقيم مثل نترات البوتاسيوم وملح النطرون واللافندر وغيرها ،كما يجب التنويه أن أساليب النظافة هذه كانت صارمة خاصة على الكهنة الذي كانوا يستحمون خمس مرات في اليوم باستخدام ملح النطرون والزيوت المستخرجة من النباتات مع إلزامية حلق شعر الرأس والجسم كاملا كل يومين[17]

خـــاتمة

وفي الأخير ما يمكن قوله حول ما إستعرضناه أن الحديث عن الوباء في العالم القديم لا يقتصر على مصر القديمة طبعا بل هو حالة إجتماعية مرضية عرفتها كل الشعوب القديمة وواجهتها بُطرقها ومعارفها الخاصة منها مصر وبلاد الرافدين والفرس والإغريق والرومانو غيرهم من الشعوب القديمة وإن كنا نسجل نقصا كبيرا في المصادر المكتوبة والشواهد الأثرية التي تحدثت عن هذه المراحل الحرجة من حياة المجتمعات القديمة ولم تردنا أخبارا عن طبيعة الأحوال الإقتصادية مثلا في ظل الأوبئة التي عايشوها والتي انعكست بالطبع على علاقاتهم الاجتماعية في الداخل والخارج وإن وردت بعض الإشارات في هذا الصدد لكنها تبقى مقتضبة مقارنة بطول الفترات التاريخية والتي غابت فيها تفاصيل العيش مع الوباء، عدا طبعا معرفة إهتمام هذه الأخيرة بتطوير الطب وحرصهم على مجابهة الوباء بشتى الطرق والوسائل لتكتمل رحلته إلى يومنا هذا ،حتى مع تطورات العصر العلمية لازال البعض يستند على تجارب طبية سابقة ناجحة وهذا ما يمكن ملاحظته في عالم الأوبئة والجوائح التي ضربت البشرية على فترات

[17] http// egypt-ancient .com/ articl

تاريخية منفصلة فإن العامل المشترك بينها هو عزل المصابين والمناطق التي يتفشى بها المرض كوسيلة وقائية أولية للحد من انتشاره .

وعليه واستنادا على ما طرحناه وعلى ما نعيشه اليوم في ظرف مماثل علينا أن نبرز الروح الأساسية لفلسفة قطع الإتصال والتقارب المباشر مع المريض لتحديد المرض ،هذا المنهج الذي كان ولازال هو أصل الطب القديم والحديث كمرحلة أولى للتشخيص ومن ثم العلاج كوننا لا نزال نكافح اليوم لذات الأسباب التي كافح من أجلها الإنسان القديم عامة وهي البقاء والإستمرارية ،فلعلها قاعدة ثابتة منذ الأزل لن تنتهي هوادتها إلا مع آخر إنسان عاقل .

قائمة المصـــادر والمراجع :

القـرآن الكريم .

الكتاب المقدس ، العهد القديم والجديد،دار الكتاب المقدس بمصر ،القاهرة ،ط،1،2008

الطبري ،جامع البيان عن تأويل القرآن ،تحقيق، عبد الله بن عبد المحسن ، الجزء العاشر، الطبعة الأولى، 2001.

أدولف أرمان و هرمان رانكه،مصر والحياة المصرية في العصور الفرعونية، ترجمة، عبد المنعم أبو بكر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة،1952.

إيفانج كونج،السحر و السحرة عند الفراعنة، ترجمة فاطمة عبد الله محمود، القاهرة ، 1999

بوب برير،الأمراض المعدية في مصر القديمة ،2004 م .

حسن كامل ، الطب المصري القديم، ط3، الهيئة المصرية العامة للكتاب،1998.

فولكتر، قاموس اللغة المصرية في المملكة الوسطى(خاص بالبرديات المصرية القديمة خلال الأوبئة)1962.

كريستيانو داليو ،الطب عند الفراعنة (أمراض ،وصفات طبية، خرافات ومعتقدات)، ترجمة ،ابتسام محمد عبد المجيد،مراجعة نبيل عبيد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 2013

محمود شلبي ، حياة موسى، ط2،دار الجيل، بيروت، 1987م .

مجلة روز اليوسف Magazine. Rose al.yosef.com

ليلى ممدوح عبد الفتاح عزام، التعاويذ البحرية ضد الأمراض في عصر الدولة الحديثة، دراسة حضارية قسم الآثار والحضارة ، جامعة حلوان 2001.

عبد اللطيف أحمد علي،التاريخ اليوناني،دار النهضة العربية، بيروت ،1976.

Brayan.p & smith.e.ancient Egyptian papyrus, Chicago,1930.

Bakir,A,the cairo calendar of lucky and unlucky days.

Smith.E. the royalmumies,1912

Dawson.R.,someobservation on the egyption calenars of lucky and lucky days in the journal egyption archeologie,1926.